مكتبة الخضراء للأطفال

مُغامراتُ السّندباد البحري

الرّحلة الخامسَة

تأليف : قاسم بن مهني

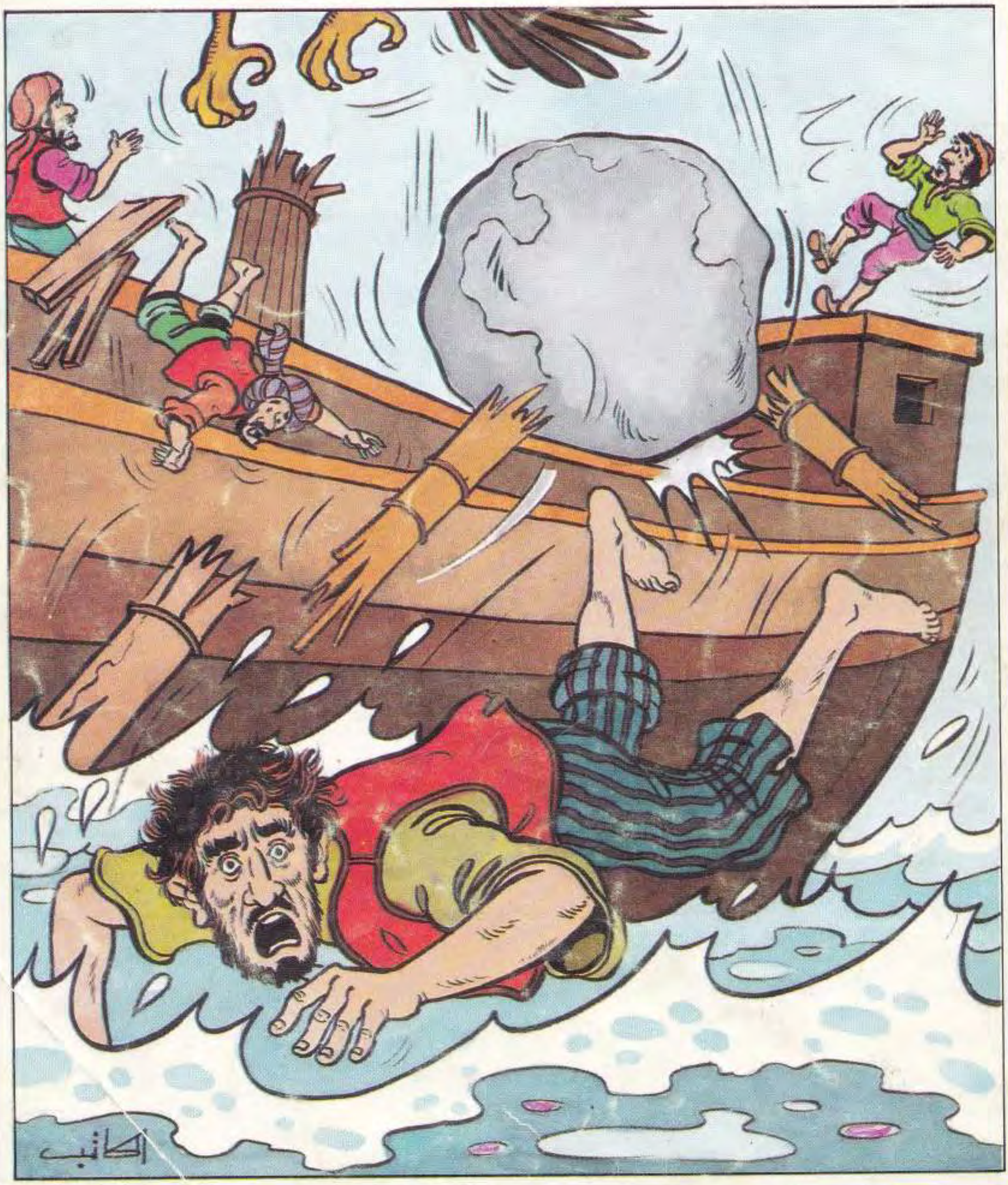

دار اليمامة للنشر والتوزيع - تونس

مكتبة الخضراء للأطفال

وزارة الثقافة والإعلام
المركزية للتوزيع
تونس

قصة
ابنا

مُغامَرات السّندباد البَحْري

الرّحلة الخامسة

~~11462609~~
~~3773~~
~~4066~~
1465

تأليف: قاسم بن مهنّي
رسوم: المنصف الكاتب
خطوط: المنجي عمّار

دار اليمامة للنشر والتوزيع - تونس

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

وَلَمَّا حَضَرَ ٱلْحَمَّالُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْخَامِسِ قَالَ لَهُ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ:

وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ عَاوَدَنِي ٱلشَّوْقُ إِلَى ٱلسَّفَرِ، وَٱلتَّفَرُّجِ فِي ٱلْبُلْدَانِ ٱلْقَرِيبَةِ وَٱلْبَعِيدَةِ، وَٱلتَّجَوُّلِ فِي ٱلْجُزُرِ ٱلْكَبِيرَةِ وَٱلصَّغِيرَةِ، وَٱلِاطِّلَاعِ عَلَى أَحْوَالِ ٱلنَّاسِ، فَٱسْتَأْجَرْتُ مَلَّاحِينَ وَرُبَّانًا، وَٱشْتَرَيْتُ سَفِينَةً كَبِيرَةً، أَمَرْتُ ٱلْحَمَّالِينَ بِشَحْنِهَا بِٱلْبَضَائِعِ ٱلنَّفِيسَةِ، وَٱلسِّلَعِ ٱلثَّمِينَةِ، وَٱلْأَزْوَادِ ٱلْوَفِيرَةِ، ثُمَّ ٱمْتَطَيْتُهَا مَعَ عَدَدٍ مِنَ ٱلتُّجَّارِ، فَسَارَتْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ ٱللَّهِ، تَمْخُرُ عُبَابَ ٱلْبَحْرِ، وَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِهَا نَتَأَمَّلُ مَخْلُوقَاتِ ٱللَّهِ ٱلْعَجِيبَةَ ٱلْغَرِيبَةَ، وَكُلَّمَا ٱنْتَهَيْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ أَوْ مَرْفَإٍ، أَلْقَى ٱلْبَحَّارَةُ ٱلْمَرَاسِيَ، وَعَرَضْنَا ٱلسِّلَعَ، وَٱشْتَرَيْنَا ٱلْبَضَائِعَ.

بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ قَطَعْنَا خِلَالَهُ ٱلْبُرُورَ وَٱلْبُحُورَ، اِنْتَهَيْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ جَرْدَاءَ، فَطَوَى ٱلرُّبَّانُ وَٱلْبَحَّارَةُ ٱلْأَشْرِعَةَ، وَرَمَوا ٱلْمَرَاسِيَ، عِنْدَئِذٍ بَادَرَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلتُّجَّارِ بِٱلنُّزُولِ إِلَى ٱلْبَرِّ، ثُمَّ تَبِعَهُمُ ٱلْبَاقُونَ. أَمَّا أَنَا فَفَضَّلْتُ ٱلْبَقَاءَ عَلَى ظَهْرِ ٱلسَّفِينَةِ، أَنْظُرُ إِلَى أَعْمَاقِ ٱلْبَحْرِ تَارَةً، وَإِلَى ٱلْجَزِيرَةِ أُخْرَى، وَأَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلْمَلَّاحِينَ ثَالِثَةً، وَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي أَحَدُ ٱلتُّجَّارِ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْمُقْفِرَةِ، وَقَالَ لِي:

ـ تَعَالَ مَعِي لِتَرَى ٱلْعَجَبَ!

ـ أَيَّ عَجَبٍ تَعْنِي؟

ـ لَقَدْ عَثَرْنَا عَلَى بَيْضَةٍ كَبِيرَةِ ٱلْحَجْمِ، ظَنَنَّاهَا

قُبَّةً أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ.

- مَا هِيَ إِلَّا بَيْضَةُ ٱلرُّخِّ.
- أَتَعْرِفُهَا ؟
- لَقَدْ رَأَيْتُهَا عَدِيدَ ٱلْمَرَّاتِ.

وَٱنْصَرَفْتُ أَجْرِي إِلَى ٱلْجَزِيرَةِ، فَوَجَدْتُ ٱلتُّجَّارَ قَدْ كَسَرُوا ٱلْبَيْضَةَ، وَأَخْرَجُوا مِنْهَا ٱلْفَرْخَ، وَشَرَعُوا فِي قَطْعِ لَحْمِهِ، فَقُلْتُ لَهُمْ فَزِعًا مَرْعُوبًا:

- كَفَى مَا صَنَعْتُمْ، لَقَدْ هَلَكْتُمْ وَأَهْلَكْتُمْ.

فَشَخَصَتْ فِيَّ عُيُونُهُمْ، وَقَالُوا لِي مُتَسَائِلِينَ:

- مِمَّ تُحَذِّرُنَا ؟
- مِنَ ٱلرُّخِّ وَهُوَ مُنْتَقِمٌ مِنْكُمْ لَا مَحَالَةَ !
- أَلِأَنَّنَا كَسَرْنَا بَيْضَتَهُ ؟
- نَعَمْ، وَبَادِرُوا بِرُكُوبِ ٱلسَّفِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَكُمْ.

فَأَسْرَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى ٱلْمَرْكَبِ، وَظَلَّ ٱلْآخَرُونَ وَاقِفِينَ حَذْوَ ٱلْبَيْضَةِ ٱلْمُهَشَّمَةِ، يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْفَرْخِ ٱلْعَظِيمِ، وَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذِ ٱخْتَفَتْ عَنْهُمُ ٱلشَّمْسُ وَسَمِعُوا حَفِيفًا كَدَوِيِّ ٱلرَّعْدِ، فَرَفَعُوا أَنْظَارَهُمْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ، فَأَبْصَرُوا ٱلرُّخَّ قَادِمًا إِلَى بَيْضَتِهِ، فَٱمْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِٱلرُّعْبِ، وَٱرْتَعَدَتْ مَفَاصِلُهُمْ مِنْ شِدَّةِ ٱلْخَوْفِ، وَهَرَعُوا إِلَى ٱلسَّفِينَةِ.

بَادَرَ ٱلرُّبَّانُ وَٱلْبَحَّارَةُ بِنَشْرِ ٱلْأَشْرِعَةِ، وَرَفْعِ ٱلْمَرَاسِي، فَسَارَتِ ٱلسَّفِينَةُ تَدْفَعُهَا ٱلرِّيَاحُ،

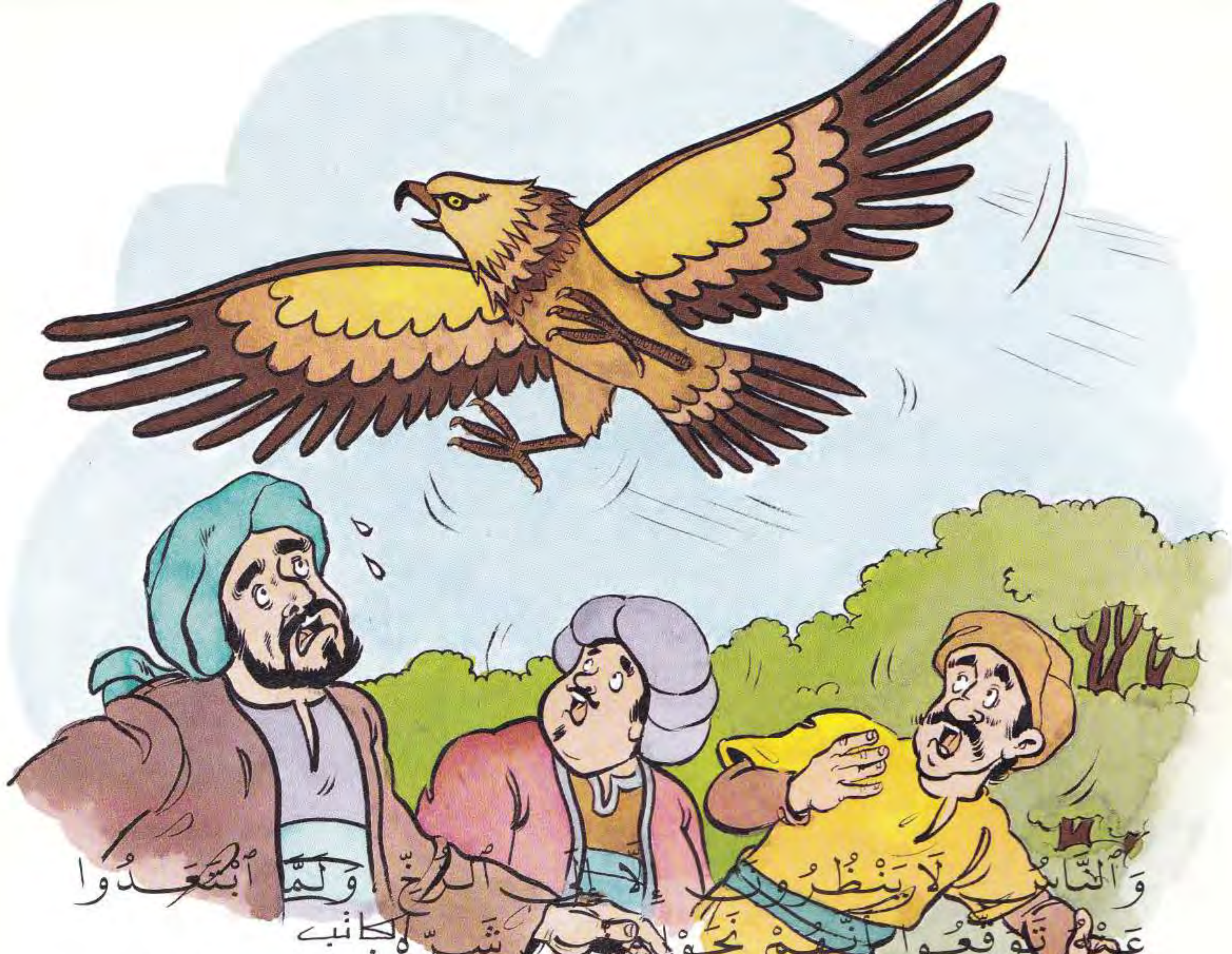

وَٱلنَّاسُ لَا يَنْظُرُونَ إِلَّا إِلَى ٱلرُّخِّ، وَلَمَّا ٱبْتَعَدُوا
عَنْهُ تَوَقَّعُوا أَنَّهُمْ نَجَوْا مِنْ شَرِّهِ لِجانب

حَوَّمَ ٱلرُّخُّ فَوْقَ بَيْضَتِهِ ٱلْمُكَسَّرَةِ، ثُمَّ طَارَ فِي ٱلْجَوِّ، وَلَمَّا ٱخْتَفَى عَنِ ٱلْأَبْصَارِ، تَنَفَّسَ ٱلرُّكَّابُ ٱلصُّعَدَاءَ وَأَيْقَنُوا بِٱلسَّلَامَةِ، وَٱنْغَمَسُوا فِي ٱلْحَدِيثِ، وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ رَأَوْهُ قَادِمًا مَعَ أُنْثَاهُ، يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَخْرَةً كَبِيرَةً بَيْنَ مَخَالِبِهِ.

تَحَوَّلَ أَمْنُ ٱلْمُسَافِرِينَ إِلَى خَوْفٍ، وَفَرَحُهُمْ إِلَى حُزْنٍ، وَأَخَذُوا يَدْعُونَ ٱللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَهُمْ مِنْ شَرِّ هَذَيْنِ ٱلطَّائِرَيْنِ، وَقَدْ نَدِمُوا شَدِيدَ ٱلنَّدَمِ عَلَى تَكْسِيرِ هَذِهِ ٱلْبَيْضَةِ ٱلْمَشْؤُومَةِ.

ظَلَّ ٱلطَّائِرَانِ ٱلْعَظِيمَانِ يَقْتَفِيَانِ أَثَرَ ٱلسَّفِينَةِ، وَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلذَّكَرُ فَوْقَهَا، أَلْقَى ٱلصَّخْرَةَ مِنِ ٱرْتِفَاعٍ شَاهِقٍ، إِلَّا أَنَّهَا لِحُسْنِ ٱلْحَظِّ وَقَعَتْ حَذْوَ ٱلسَّفِينَةِ لَا عَلَيْهَا، فَٱرْتَفَعَتْ أَمْوَاجُ كَٱلْجِبَالِ، أَخَذَتْ تَتَلَاعَبُ بِهَا، حَتَّى كَادَتْ تُغْرِقُهَا فِي ٱلْيَمِّ، فَصَاحَ بَعْضُ ٱلرُّكَّابِ، وَرَفَعَ آخَرُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِٱلدُّعَاءِ. وَفَجْأَةً رَمَتِ ٱلْأُنْثَى ٱلصَّخْرَةَ مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِهَا، فَوَقَعَتْ عَلَى ٱلْجُزْءِ ٱلْأَخِيرِ مِنَ ٱلسَّفِينَةِ، فَتَهَشَّمَ عَلَى ٱلْفَوْرِ، وَسُرْعَانَ مَا دَاهَمَتْنَا ٱلْمِيَاهُ مِنْ كُلِّ ٱلْجِهَاتِ، فَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى غَرِقَتِ ٱلسَّفِينَةُ، وَغَاصَتِ ٱلْبَضَائِعُ وَهَوَى كَثِيرٌ مِنَ ٱلرُّكَّابِ إِلَى أَعْمَاقِ ٱلْبَحْرِ.

أَخَذْتُ أَسْبَحُ تَارَةً عَلَى صَدْرِي، وَأُخْرَى عَلَى ظَهْرِي، وَلَمَّا وَجَدْتُ خَشَبَةً أَمَامِي، تَعَلَّقْتُ بِهَا، فَأَخَذَتْ تَسِيرُ بِي حَيْثُ لَا أَدْرِي، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ ٱنْتَهَتْ بِي إِلَى ٱلْبَرِّ، فَٱسْتَلْقَيْتُ عَلَى ٱلرِّمَالِ أَلْهَثُ لِشِدَّةِ ٱلْعَنَاءِ وَٱلتَّعَبِ، وَلَمَّا ٱسْتَعَدْتُ شَيْئًا مِنْ نَشَاطِي، جَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ ٱلْجِهَاتِ، ثُمَّ قُمْتُ وَسِرْتُ عَلَى ٱلشَّاطِئِ بُغْيَةَ ٱكْتِشَافِ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي سَاقَتْنِي إِلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبَحْرِ.

كُنْتُ أَسِيرُ وَأَنْظُرُ حَوْلِي، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّنِي وَسَطَ جَزِيرَةٍ يَانِعَةِ ٱلْأَشْجَارِ، مُتَدَفِّقَةِ ٱلْأَنْهَارِ،

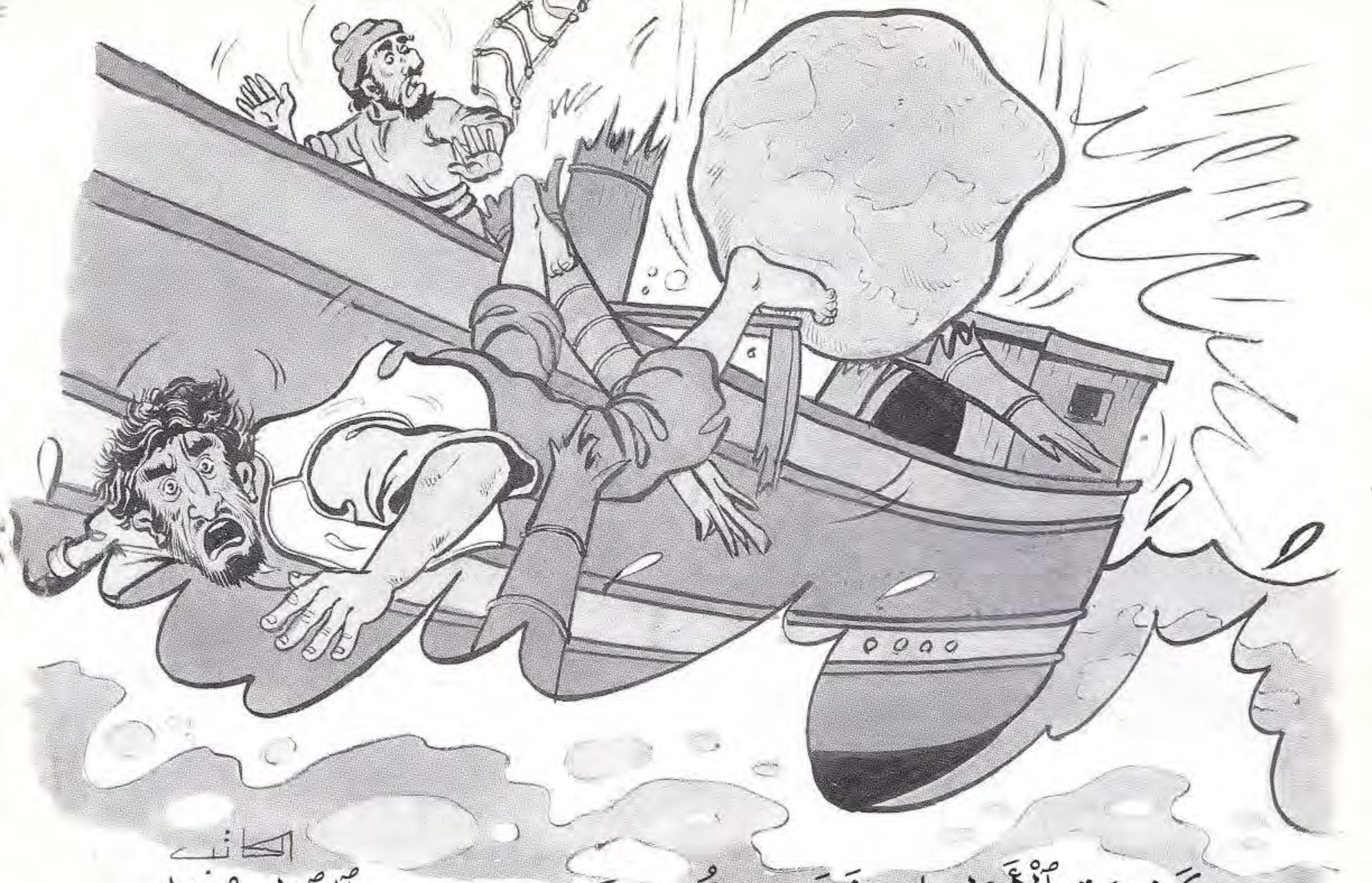

كَثِيرَةِ ٱلْأَطْيَارِ، فَشَعَرْتُ بِنَوْعٍ مِنَ ٱلِٱطْمِئْنَانِ، وَهُدُوءِ ٱلْبَالِ، وَأَخَذْتُ أَقْطِفُ ٱلثِّمَارَ ٱلْيَانِعَةَ، وَأَشْرَبُ ٱلْمِيَاهَ ٱلْعَذْبَةَ. وَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ ٱلْأَكْلِ، تَمَدَّدْتُ عَلَى ٱلرِّمَالِ ٱلنَّاعِمَةِ، فَأَخَذَنِي ٱلنُّعَاسُ وَٱسْتَغْرَقْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، لَمْ أُفِقْ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ.

بَعْدَمَا غَسَلْتُ أَطْرَافِي، قَصَدْتُ إِحْدَى ٱلْأَشْجَارِ ٱلْمُثْمِرَةِ، وَتَنَاوَلْتُ مِنْ ثِمَارِهَا ٱلشَّهِيَّةِ حَتَّى شَبِعْتُ، ثُمَّ سِرْتُ أَتَجَوَّلُ بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ، أُنْصِتُ إِلَى تَغْرِيدِ ٱلْأَطْيَارِ، وَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ إِلَى غَدِيرٍ صَافٍ، مَاؤُهُ كَٱللُّجَيْنِ، أَبْصَرْتُ شَيْخًا جَالِسًا عَلَى ضَفَّتِهِ، فَشَعَرْتُ

بِٱلْأُنْسِ ، وَزَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنَ ٱلْوَحْشَةِ.

دَنَوْتُ مِنَ ٱلشَّيْخِ ، فَإِذَا هُوَ مَلِيحُ ٱلْوَجْهِ، يَرْتَدِي إِزَارًا مَصْنُوعًا مِنَ وَرَقِ ٱلشَّجَرِ ، فَبَادَرْتُ بِٱلسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ ٱلتَّحِيَّةَ بِٱلْإِيمَاءِ ، وَلَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ ، وَعَنْ سَبَبِ جُلُوسِهِ فِي هَذَا ٱلْمَكَانِ ، هَزَّ رَأْسَهُ مُتَأَسِّفًا ، وَأَشَارَ إِلَى رِجْلَيْهِ إِشَارَةً خَاصَّةً ، فَهِمْتُ مِنْهَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ٱلْمَشْيِ ، وَيَرْجُونِي أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَى كَتِفِي.

رَقَّ قَلْبِي لِحَالِ هَذَا ٱلشَّيْخِ ، وَتَحَمَّسْتُ لِمُسَاعَدَتِهِ رِفْقًا بِهِ ، وَرَجَاءَ ثَوَابِ ٱللَّهِ ، وَرَغْبَةً فِي مُرَافَقَتِهِ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى كَتِفِي ، وَأَخَذْتُ أَتَنَقَّلُ بِهِ فِي أَرْجَاءِ ٱلْجَزِيرَةِ حَيْثُ يَرْغَبُ، كَانَ تَارَةً يُشِيرُ عَلَيَّ بِٱلسَّيْرِ قُرْبَ ٱلنَّهْرِ ، وَأُخْرَى عَلَى ٱلشَّاطِئِ ، وَثَالِثَةً بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ ، وَلَمَّا أَرْهَقَنِي ٱلتَّعَبُ ، أَرَدْتُ أَنْ أَضَعَهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ لَفَّ رِجْلَيْهِ حَوْلَ رَقَبَتِي ، وَتَشَبَّثَ بِي تَشَبُّثَ ٱلْغَرِيقِ بِمُنْقِذِهِ.

وَقَفْتُ حَائِرًا ، أُفَكِّرُ فِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَصْنَعَهُ لِأَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا ٱلشَّيْخِ ، فَوَقَعَتْ عَيْنَايَ مُصَادَفَةً عَلَى رِجْلَيْهِ ، فَإِذَا هُمَا سَوْدَاوَانِ كَسَاقَيْ جَامُوسٍ ، يُغَطِّيهِمَا شَعَرٌ أَسْوَدُ كَثِيفٌ ، فَدَاخَلَنِي ٱلْخَوْفُ وَٱلِٱرْتِبَاكُ وَٱلتَّعَجُّبُ. لَكِنْ سُرْعَانَ مَا تَمَالَكْتُ ، وَٱسْتَجْمَعْتُ قُوَايَ ، وَهَمَمْتُ بِإِلْقَائِهِ عَلَى ٱلْأَرْضِ فِي مُنْتَهَى ٱلْقَسْوَةِ وَٱلْعُنْفِ ، إِلَّا أَنَّهُ ٱزْدَادَ تَعَلُّقًا بِرَقَبَتِي ، وَأَخَذَ يَضْغَطُ عَلَيْهَا بِرِجْلَيْهِ ، فَضَاقَ تَنَفُّسِي وَجَحَظَتْ عَيْنَايَ ، وَكَادَ يُغْمَى عَلَيَّ.

لَمْ يَرْحَمْنِي ٱلشَّيْخُ ، وَلَمْ يَعْبَأْ بِحَالِي ، بَلْ أَخَذَ يَضْرِبُنِي

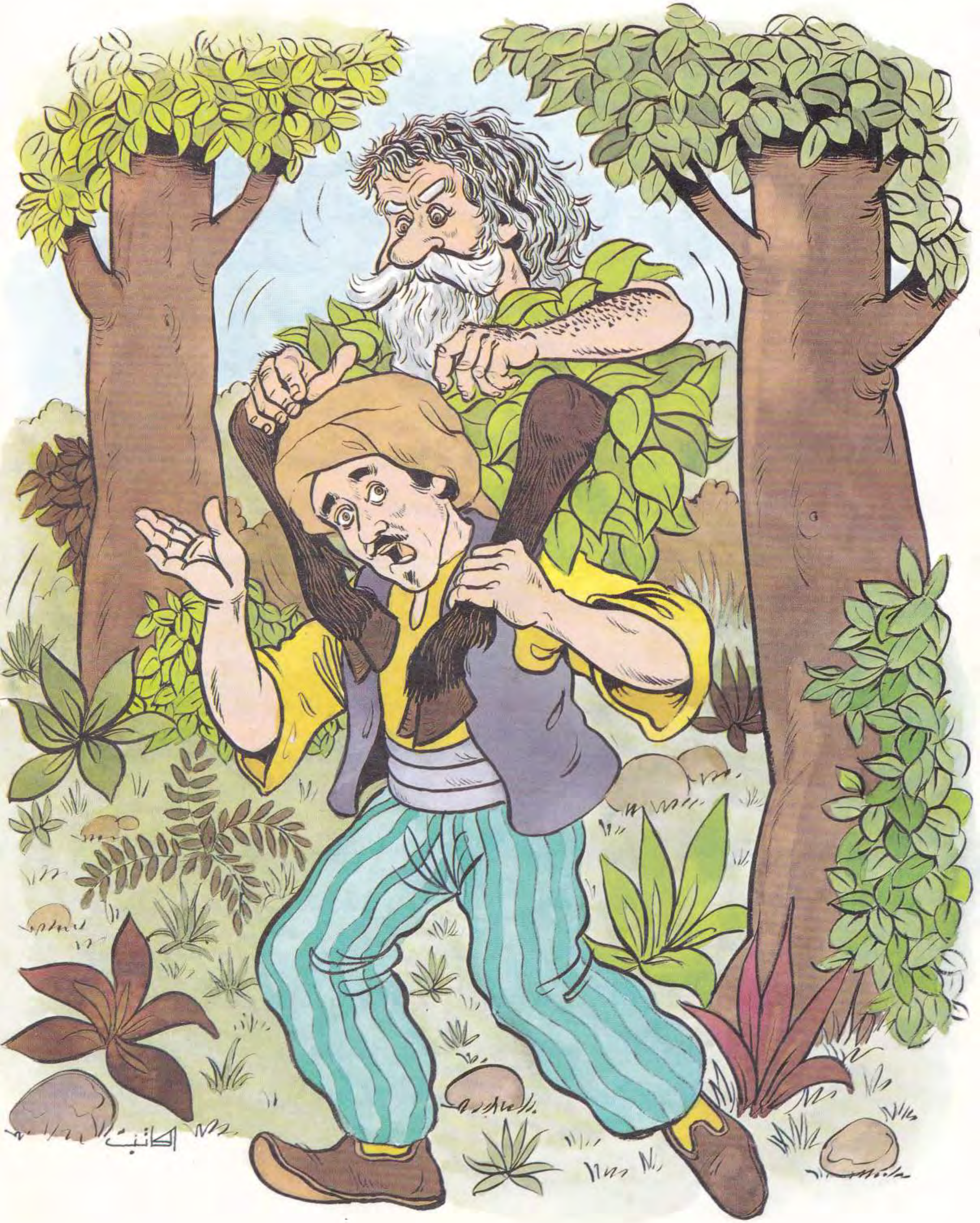
الكاتب

بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَيُشِيرُ عَلَيَّ بِٱلسَّيْرِ صَوْبَ ٱلْغَابَةِ، فَٱنْصَعْتُ لِأَمْرِهِ، وَمَشَيْتُ مُتَثَاقِلًا بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ، وَهُوَ عَلَى ظَهْرِي، يَقْطِفُ شَهِيَّ ٱلثِّمَارِ، وَيَتَنَاوَلُهَا، وَكُلَّمَا مَرَرْنَا بِعَيْنٍ جَارِيَةٍ أَوْقَفَنِي، وَأَمَرَنِي بِٱلْبُرُوكِ لِيَرْتَوِيَ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ.

اِنْقَضَى ٱلنَّهَارُ، وَجَزْءٌ مِنَ ٱللَّيْلِ، وَٱلشَّيْخُ عَلَى ظَهْرِي، يُوَجِّهُنِي حَيْثُ شَاءَ كَٱلْحِمَارِ، وَيَضْرِبُنِي فِي مُنْتَهَى ٱلْقَسْوَةِ وَٱلْغِلْظَةِ، وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ نَوْمِهِ، لَفَّ رِجْلَيْهِ لَفًّا عَنِيفًا حَوْلَ رَقَبَتِي، حَتَّى كَادَ يَخْنُقُنِي، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، فَأَخَذَتْهُ سِنَةٌ مِنَ ٱلنَّوْمِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ ٱسْتَيْقَظَ، فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ يَسُوقُنِي فِي مَعَابِرِ ٱلْجَزِيرَةِ.

كَانَ ٱلشَّيْخُ لَا يُفَارِقُ ظَهْرِي فِي ٱللَّيْلِ، وَلَا فِي ٱلنَّهَارِ، وَلَا يَتَوَرَّعُ عَنِ ٱلتَّبَوُّلِ وَٱلتَّغَوُّطِ فَوْقَ رَقَبَتِي وَجِسْمِي، فَكَرِهْتُ نَفْسِي، وَٱمْتَلَأَ قَلْبِي بِٱلْغَمِّ، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَسْتَسْلِمْ لِلْأَحْزَانِ، وَأَخَذْتُ أُفَكِّرُ فِي ٱلتَّخَلُّصِ، بِطَرِيقَةٍ أَوْ أُخْرَى، مِنْ هَذَا ٱلشِّرِّيرِ ٱلَّذِي سَيُهْلِكُنِي إِنْ بَقِيَ عَلَى عَاتِقِي.

بَقِيتُ مُنْغَمِسًا فِي ٱلتَّفْكِيرِ بَعْضَ ٱلْوَقْتِ، وَلَمَّا رَأَيْتُ عَنَاقِيدَ ٱلْعِنَبِ تَتَدَلَّى بَيْنَ ٱلْأَغْصَانِ، اِلْتَمَعَتْ عَيْنَايَ بِنُورِ ٱلظَّفَرِ، وَأَخَذْتُ أَجْمَعُ ٱلْيَقْطِينَ ٱلْجَافَّ، وَأُنَظِّفُهُ مِنَ ٱلدَّاخِلِ فَإِذَا هُوَ كَٱلْأَوَانِي، ثُمَّ قَطَفْتُ ٱلْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِيهَا، وَتَرَكْتُ ٱلْعَصِيرَ يَخْتَمِرُ، ثُمَّ قَدَّمْتُهُ لِلشَّيْخِ، وَأَنَا أُرَغِّبُهُ فِي شُرْبِهِ قَائِلًا: « هَذَا دَوَاءٌ نَافِعٌ، يُقَوِّي ٱلْقَلْبَ،

وَيَشْرَحُ ٱلصَّدْرَ»

أَخَذَ ٱلشَّيْخُ يَنْظُرُ فِي ٱلْأَوَانِي. ثُمَّ أَشَارَ إِلَيَّ بِأَنْ أُنَاوِلَهُ إِحْدَاهَا، فَقَدَّمْتُهَا إِلَيْهِ مُسْرِعًا، فَعَبَّ مَا فِيهَا عَبًّا، وَطَلَبَ ٱلْمَزِيدَ، فَجَعَلْتُ أَسْقِيهِ، وَلَمَّا دَارَتِ ٱلْخَمْرُ فِي رَأْسِهِ، أَخَذَ يَرْقُصُ فَوْقَ ظَهْرِي، فَتَنَفَّسْتُ ٱلصُّعَدَاءَ، وَصِرْتُ لَا أَنْتَظِرُ إِلَّا ٱلْفُرْصَةَ ٱلسَّانِحَةَ، فَمَا أَنْ أَحْسَسْتُ بِأَنَّ عَضَلَاتِهِ قَدِ ٱرْتَخَتْ حَتَّى رَمَيْتُهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، وَٱنْصَرَفْتُ أَجْرِي إِلَى ٱلسَّاحِلِ لِأَنْجُوَ بِنَفْسِي.

مَا كِدْتُ أَنْتَهِي إِلَى ٱلشَّاطِئِ، حَتَّى أَبْصَرْتُ سَفِينَةً تَتَهَادَى عَلَى صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ، فَنَزَعْتُ عِمَامَتِي وَأَخَذْتُ أُلَوِّحُ بِهَا فِي ٱلْفَضَاءِ، وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلسَّفِينَةَ تَتَّجِهُ نَحْوِي كِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شِدَّةِ ٱلْفَرَحِ، وَحَمِدْتُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ شَرِّ هَذَا ٱلشَّيْخِ ٱلْغَرِيبِ.

اِمْتَطَيْتُ ٱلسَّفِينَةَ مُنْشَرِحَ ٱلصَّدْرِ، وَسَلَّمْتُ عَلَى ٱلرُّكَّابِ، فَرَدُّوا عَلَيَّ ٱلتَّحِيَّةَ، ثُمَّ سَأَلُونِي عَنْ قِصَّتِي، فَرَوَيْتُهَا لَهُمْ، فَقَالَ لِيَ ٱلرُّبَّانُ:

- لَقَدْ كَانَتْ نَجَاتُكَ مِنْ ذَلِكَ ٱلشَّيْخِ أُعْجُوبَةً!

- لِمَ؟

- مَا ذَلِكَ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا شَيْخُ ٱلْبَحْرِ، لَمْ يَنْجُ أَحَدٌ وَقَعَ فِي قَبْضَتِهِ.

- لَا أَحْمَدُ إِلَّا ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ شَرِّهِ.

وَجَلَسْتُ فِي مَكَانٍ أُشْرِفُ مِنْهُ عَلَى ٱلْبَحْرِ.

كَانَ ٱلْيَوْمُ صَحْوًا جَمِيلًا ، وَٱلْبَحْرُ هَادِئًا لَطِيفًا ، وَٱلْمَوْجُ سَاكِنًا خَفِيفًا ، وَٱلنَّسِيمُ نَقِيًّا عَلِيلًا ، يَدْفَعُ ٱلسَّفِينَةَ فِي رِفْقٍ وَلِينٍ ، وَٱلرُّكَّابُ عَلَى ظَهْرِهَا يُنْشِدُونَ ٱلْأَشْعَارَ ، وَيَرْوُونَ ٱلْفُكَاهَاتِ وَٱلنَّوَادِرَ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَتَأَمَّلُ تَارَةً ٱلْأُفُقَ ٱلْبَعِيدَ ، حَيْثُ ٱلْتَحَمَتْ زُرْقَةُ ٱلسَّمَاءِ بِزُرْقَةِ ٱلْمَاءِ ، وَطَوْرًا أُمْعِنُ ٱلنَّظَرَ فِي ٱلْأَسْمَاكِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْأَلْوَانِ وَٱلْأَحْجَامِ ، وَفِي ٱلْحِيتَانِ ٱلْكَبِيرَةِ ٱلَّتِي تَتَزَاحَمُ أَحْيَانًا حَوْلَ ٱلسَّفِينَةِ ، وَتَسْبَحُ حِينًا وَرَاءَهَا أَوْ أَمَامَهَا ، أَوْ عَنْ يَمِينِهَا وَيَسَارِهَا.

مَلَأَتْ هَذِهِ ٱلْمَشَاهِدُ قَلْبِي بِٱلْبَهْجَةِ ، وَأَنْسَتْنِي مَا لَقِيتُ مِنَ ٱلْأَهْوَالِ وَٱلْمَصَائِبِ ، وَوَدَدْتُ لَوْ أَنَّ ٱلرِّحْلَةَ تَتَوَاصَلُ عَلَى هَذَا ٱلنَّسَقِ مِنَ ٱلْأَمْنِ وَٱلرَّخَاءِ.

بَعْدَ أُسْبُوعٍ نَزَلْنَا بِجَزِيرَةِ ٱلْقُرُودِ ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ ، بِهَا سُهُولٌ فَسِيحَةٌ شَاسِعَةٌ ، وَجِبَالٌ مُمْتَدَّةٌ بَاسِقَةٌ ، وَأَوْدِيَةٌ خَصِيبَةٌ ، وَأَنْهَارٌ غَزِيرَةٌ ، وَٱلْغَرِيبُ فِي ٱلْأَمْرِ أَنَّ كُلَّ مَسَاكِنِهَا وَبِنَايَاتِهَا شُيِّدَتْ عَلَى ٱلسَّاحِلِ ، تَكَادُ تَصِلُ إِلَيْهَا مِيَاهُ ٱلْبَحْرِ ، وَلَمَّا سَأَلْتُ عَنْ سِرِّ هَذَا ٱلْأَمْرِ ، قِيلَ لِي : "لَا يَبِيتُ ٱلنَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ خَوْفًا مِنَ ٱلْقُرُودِ ، بَلْ يَنْصَرِفُونَ إِلَى ٱلْبَحْرِ بَعْدَ ٱلْغُرُوبِ ، وَيَنَامُونَ فِي ٱلسُّفُنِ وَٱلْمَرَاكِبِ ، وَعِنْدَ مَا تُشْرِقُ ٱلشَّمْسُ عَلَى ٱلْكَوْنِ ، يَنْتَشِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ لِكَسْبِ ٱلرِّزْقِ."

بَعْدَمَا طُفْتُ بِأَرْجَاءِ ٱلْجَزِيرَةِ ، وَتَجَوَّلْتُ فِي شَوَارِعِ

ٱلْمَدِينَةِ ٱلْوَحِيدَةِ، عُدْتُ إِلَى ٱلْمِينَاءِ، وَقَدْ مَالَتِ ٱلشَّمْسُ إِلَى ٱلْغُرُوبِ، فَلَمْ أَجِدِ ٱلسَّفِينَةَ وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنَ ٱلرُّكَّابِ، فَٱمْتَلَأَ قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ بِٱلْحُزْنِ، وَضَاقَ صَدْرِي، وَتَخَاذَلَتْ رِجْلَايَ عَنْ حَمْلِي، فَهَوِيتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، أَنْدُبُ حَظِّي وَأَلُومُ نَفْسِي عَلَى ٱلْخُرُوجِ مِنَ ٱلْمَرْكَبِ، وَأَقُولُ فِي سِرِّي: "كَأَنَّنِي لَمْ أُخْلَقْ إِلَّا لِلْمَصَائِبِ، فَكُلَّمَا خَرَجْتُ مِنْ كَارِثَةٍ، وَقَعْتُ فِي مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا."

وَبَيْنَمَا أَنَا حَائِرٌ فِي أَمْرِي إِذْ وَقَفَ أَمَامِي أَحَدُ سُكَّانِ ٱلْجَزِيرَةِ، وَبَادَرَنِي بِٱلتَّحِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ لِي:

- يَبْدُو أَنَّكَ غَرِيبٌ يَا أَخِي.
- فِعْلًا أَنَا كَمَا تَوَقَّعْتَ يَا سَيِّدِي.
- قُمْ مَعِي، وَإِلَّا هَجَمَتْ عَلَيْكَ قُرُودُ ٱلْجَبَلِ.
- إِلَى أَيْنَ؟
- إِلَى مَرْكَبِي لِتَبِيتَ فِيهِ.

وَجَذَبَنِي مِنْ يَدِي، وَسَاعَدَنِي عَلَى ٱلْوُقُوفِ، فَسِرْتُ إِلَى جَانِبِهِ أَتَثَاقَلُ فِي مِشْيَتِي، وَمَا إِنْ حَلَلْنَا بِٱلْمَرْكَبِ حَتَّى أَشَارَ إِلَيَّ بِٱلْجُلُوسِ، وَجَاءَنِي بِطَعَامٍ شَهِيٍّ، وَأَخَذَ يُرَغِّبُنِي فِي ٱلْأَكْلِ.

وَبَعْدَمَا أَكَلْنَا هَنِيئًا، وَشَرِبْنَا مَرِيئًا، تَسَامَرْنَا جُزْءًا مِنَ ٱللَّيْلِ، ثُمَّ ٱسْتَلْقَى كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى فِرَاشِهِ، فَمَا هِيَ إِلَّا هُنَيْهَةٌ حَتَّى ٱسْتَغْرَقْتُ فِي نَوْمٍ قَطَعَتْهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْأَحْلَامِ ٱلْمُزْعِجَةِ، وَلَمَّا قُمْتُ فِي ٱلصَّبَاحِ ٱلْبَاكِرِ، قَدَّمَ لِي مُضَيِّفِي ٱلْفُطُورَ، ثُمَّ

قَالَ لِي :

ـ أَتُتْقِنُ صَنْعَةً يَا أَخِي ؟

ـ لَا أُجِيدُ إِلَّا ٱلتِّجَارَةَ .

فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :

ـ لَقَدْ ضَمِنْتَ لِنَفْسِكَ أَرْبَاحًا طَائِلَةً ، وَٱلْعَوْدَةَ إِلَى بَلَدِكَ سَالِمًا .

فَنَزَلَتْ عَلَيَّ كَلِمَاتُهُ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَمَلَأَتْ قَلْبِي ٱنْشِرَاحًا ، وَسَأَلْتُهُ قَائِلًا :

ـ أَلَكَ سَفِينَةٌ عَلَى وَشَكِ ٱلْإِبْحَارِ ؟

ـ لَا .

ـ فَلِمَ بَشَّرْتَنِي بِٱلرِّبْحِ ٱلْوَفِيرِ ، وَٱلْإِيَابِ ٱلْقَرِيبِ ؟

ـ لِأَنِّي سَأُعَلِّمُكَ حِرْفَةً تُكْسِبُكَ مَالًا وَفِيرًا .

وَسَلَّمَنِي مِخْلَاةً وَقَالَ لِي :

ـ تَعَالَ مَعِي .

وَسَارَ بِي خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى وَادٍ فَسِيحٍ ، وَجَدْنَا فِيهِ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ ، يَجْمَعُونَ ٱلْحَصَى ، وَيَضَعُونَهَا فِي ٱلْمَخَالِي ٱلْمُعَلَّقَةِ فِي أَكْتَافِهِمْ ، فَدَعَا مُضَيِّفِي بَعْضَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَيَّ :

ـ هَذَا ضَيْفُنَا ، سَاعِدُوهُ عَلَى ٱلْكَسْبِ ٱلْوَفِيرِ ، لِيَعُودَ إِلَى أَهْلِهِ فِي ٱلْقَرِيبِ .

فَأَجَابُوهُ عَلَى ٱلْفَوْرِ :

ـ سَنُؤْثِرُهُ عَلَى أَنْفُسِنَا .

2609

ـ هَـذَا مَا تَوَقَّعْتُهُ مِنْكُمْ أَيُّهَا ٱلْكُرَمَاءُ.

وَوَدَّعَنِي وَٱنْصَرَفَ. عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لِي أَحَدُ ٱلرِّفَاقِ:

ـ اِمْلَأْ مِخْلَاتَكَ بِٱلْحِجَارَةِ وَٱلْحَصَى.

فَٱمْتَثَلْتُ لِأَمْرِهِ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ ٱلْهَدَفَ مِنْ هَذَا ٱلْعَمَلِ، وَكُلَّمَا هَمَمْتُ أَنْ أَسْتَوْضِحَ أَحَدَهُمْ، غَلَبَنِي ٱلْحَيَاءُ، وَلَمَّا ٱمْتَلَأَتِ ٱلْمَخَالِي بِٱلْحِجَارَةِ وَٱلْحَصَى، سِرْنَا كُلُّنَا إِلَى وَادٍ أَفْسَحَ، تَكْثُرُ بِهِ أَشْجَارٌ ضَارِبَةٌ فِي ٱلسَّمَاءِ، تُشْبِهُ ٱلنَّخِيلَ، إِلَّا أَنَّ ٱرْتِفَاعَهَا أَشَدُّ، وَجُذُوعَهَا أَدَقُّ، وَهِيَ جِدُّ مَلْسَاءُ، يَصْعُبُ تَسَلُّقُهَا.

مَا كِدْنَا نَسِيرُ بَيْنَ هَذِهِ ٱلْأَشْجَارِ إِلَّا خَطَوَاتٍ، حَتَّى رَأَيْنَا قَطِيعًا مِنَ ٱلْقُرُودِ رَوَّعَهَا مَجِيئُنَا. فَتَسَلَّقَتِ ٱلْأَشْجَارَ فِي سُرْعَةٍ مُدْهِشَةٍ، عِنْدَ ذَلِكَ وَقَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا حَذْوَ شَجَرَةٍ، وَشَرَعَ يَرْمِي ٱلْقِرْدَ ٱلْجَالِسَ فِي أَعْلَاهَا بِٱلْحِجَارَةِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ بِإِلْقَاءِ ٱلثِّمَارِ، أَخَذْتُ إِحْدَاهَا فَإِذَا هِيَ جَوْزَةُ ٱلْهِنْدِ، فَقُلْتُ فِي سِرِّي:

« حَقًّا سَيُكْسِبُنِي هَذَا ٱلْعَمَلُ كَثِيرًا مِنَ ٱلْمَالِ ». وَتَحَمَّسْتُ لَهُ كُلَّ ٱلتَّحَمُّسِ. فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَاتٌ حَتَّى جَمَعْتُ كَمِّيَّةً كَبِيرَةً مِنْ هَذِهِ ٱلثِّمَارِ، أَخَذْتُهَا إِلَى ٱلْمِينَاءِ، وَبِعْتُهَا إِلَى ٱلتُّجَّارِ.

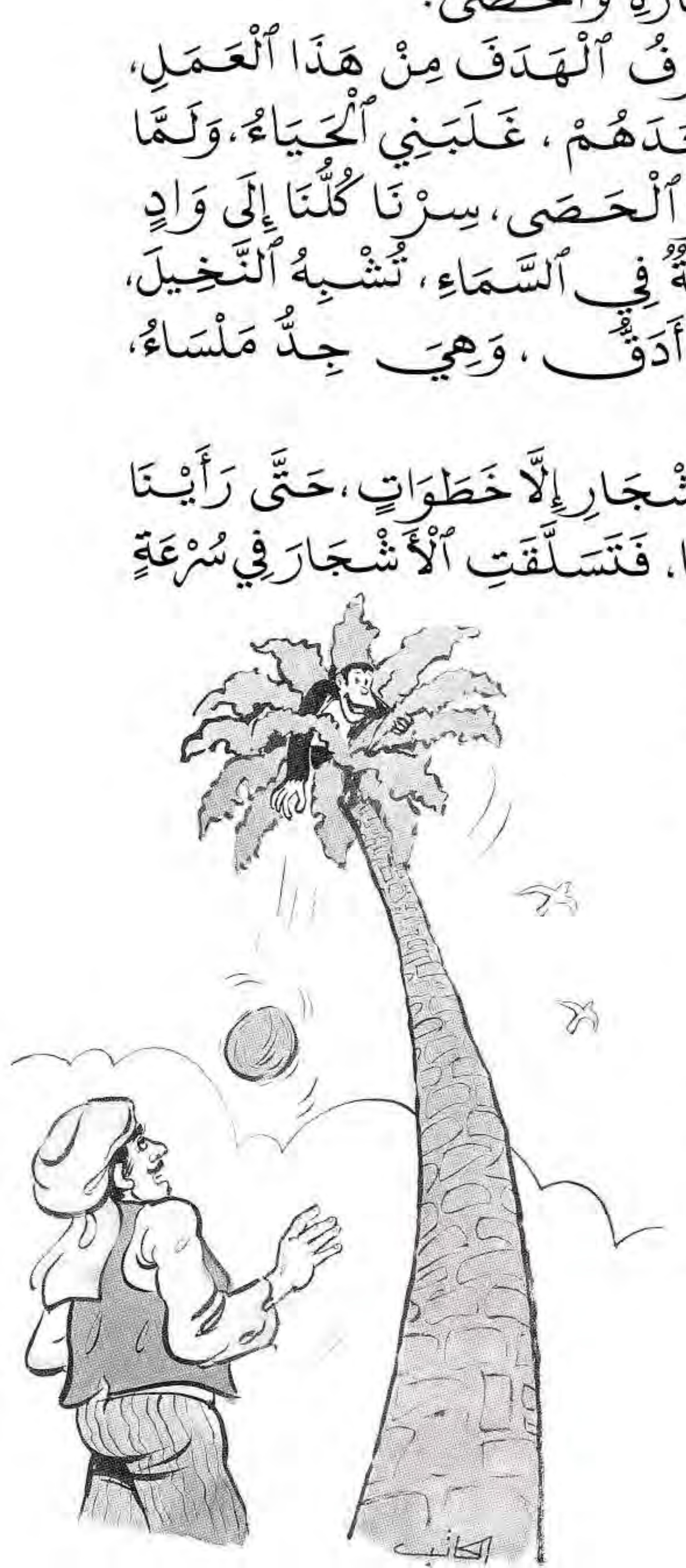

دَأَبْتُ عَلَى هَذَا ٱلنَّشَاطِ بِضْعَةَ أَيَّامٍ ، وَلَمَّا وَفَّرْتُ مَبْلَغًا هَامًّا مِنَ ٱلْمَالِ ، جَمَعْتُ كَثِيرًا مِنْ جَوْزِ ٱلْهِنْدِ ، وَشَحَنْتُهُ فِي سَفِينَةٍ ٱكْتَرَيْتُهَا ، وَسِرْتُ إِلَى بَعْضِ ٱلْجُزُرِ ، فَبِعْتُهُ فَوْرَ وُصُولِي بِأَبْهَظِ ٱلْأَثْمَانِ ، وَٱبْتَعْتُ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ كَثِيرًا مِنَ ٱلْبَضَائِعِ ٱلنَّفِيسَةِ ، وَٱلسِّلَعِ ٱلثَّمِينَةِ ، وَسِرْتُ عَائِدًا إِلَى بَلَدِي ، يَهُزُّنِي ٱلشَّوْقُ لِلِقَاءِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْخِلَّانِ . وَلَمَّا مَرَرْتُ بِمَغَاصَاتِ ٱللُّؤْلُؤِ ، اِسْتَأْجَرْتُ بَعْضَ ٱلْغَوَّاصِينَ ٱلْمَاهِرِينَ ، فَأَخْرَجُوا لِيَ ٱلْكَثِيرَ مِنْ هَذِهِ ٱلْحِجَارَةِ ٱلثَّمِينَةِ ، فَٱزْدَادَتْ ثَرْوَتِي ، وَتَعَاظَمَتْ فَرْحَتِي ، وَلَمَّا حَلَلْتُ بِبَغْدَادَ وَجَدْتُ أَهْلِي يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتِي عَلَى أَحَرَّ مِنَ ٱلْجَمْرِ .

أَقَمْتُ بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ بَيْنَ ٱلْأَهْلِ وَٱلْأَقَارِبِ وَٱلْخِلَّانِ ، أَتَنَعَّمُ بِمَا أَفَاضَ عَلَيَّ ٱللَّهُ مِنْ نِعَمِهِ ٱلْوَافِرَةِ ، وَقَدْ أَنْسَتْنِي حَيَاةُ ٱلرَّخَاءِ وَٱلْمَوَدَّةِ ، مَا لَاقَيْتُهُ مِنْ مَخَاطِرَ وَمَشَاكِلَ أَثْنَاءَ هَذِهِ ٱلرِّحْلَةِ .

~~2609~~
~~1146~~
1165

انتهى طبع هذا الكتاب
بالمطبعة الأساسية - بن عروس
في ١٥.٠٠٠ نسخة
فيفري 1993

مكتبة تونس الخضراء للأطفال

صدر ضمن هذه السلسلة

1 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الاولى»
2 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الثانية»
3 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الثالثة»
4 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الرابعة»
5 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الخامسة»
6 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة السادسة»
7 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة السابعة»
8 - الوزير والتّاجر
9 - صُرّة الجوهر
10 - بدران ويونان
11 - خبزة الأبناء
12 - الفيل «براتاب»
13 - الدّينصور الصغير
14 - الرّاعي الطّروب
15 - الصّيّاد الصّغير
16 - من حكم الشّيخ
17 - من أدوار جُحا
18 - الفيل الصّغير
19 - شبحُ رجُل مفقود
20 - لغز الخيط الأحمر

الثمن : 0.700 د.ت.

ISBN 9973 - 735 - 69 - 2
9973 - 735 - 74 - 9